الفساد

أنواعه وأسبابه وعلاجه

من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية

بقلم

د . زين بن محمد بن حسين العيدروس

أستاذ السُنّة المشرّفة وعلوم الحديث المُساعد بجامعة حضرموت

اسم الكتاب: الفساد أنواعه وأسبابه وعلاجه. من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية.
تأليف : الدكتور. زين بن محمد بن حسين العيدروس. عفا الله عنه.
أستاذ السُنّة المشرّفة وعلوم الحديث المُساعد بجامعة حضرموت

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢٠م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
لا يجوز طباعتها أو نشرها إلّا بإذن خطي من المؤلف
رقم الايداع بدار العيدروس(١١٩)
رقم الإيداع بدار الكتب بحضرموت(....)

قال العلماء: (مِنْ بَرَكةِ العلمِ أن تُضيفَ الشيء إلى قائِلهِ)
(جامع بيان العلم لابن عبد البر٢/٨٩)

دار العيدروس
daralaidaroos@gmail.com

٧٧١٣١١٤٥٦ . واتس
حضرموت . المكلا
اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العباد ، إليه الأمر والمعاد، أنار قلوب المصلحين بأنوار الهداية والرّشاد، ونعوذ بالله من أحوال أهل البَغي والفساد ، ولطف الله بنا من أهوال يوم التناد ، فله الحمد حقّ الحمد وأبلغه ، وأشكره أتم الشكر وأكمله ، والصلاة والسلام على سيِّد المصلحين والهُداة المرشدين، سيدنا محمد مَنْ بصّرنا الله به من العمى، وأزاح عنّا الفساد والبلوى ، وعلى آله وأصحابه أهل الوفا، ومن تبعهم بإحسان ومن اهتدى ، أما بعد :

الفساد آفة خطره، لا تنتشر في المجتمعات إلا جعلتها قاعاً صفصفاً، فلا ترى نهضة ولا بناءً، ولا حضارة ولا رُقيّاً، يستشري الفساد سريعاً إن وجد له أرضاً خصبة بابتعاد الناس عن منهج السماء، وبترك الدين الذي أوحى الله تعالى تعاليمه لأنبيائه، ولضرر الفساد الشامل لكل مصالح الخلق في الدارين حاربته الديانات السماوية الإلهية كلها ، قال نبيّ الله صالح . عليه السلام . لقومه: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [1]، وهذا نبيُّ الله شعيب . عليه السلام . يقول لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [2]، وهذا نبي الله موسى يخاطب أخاه نبيَّ الله هارون . عليهما السلام . قائلاً له: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، والآيات الدالة لتحذير الأنبياء لأقوامهم من الفساد والمفسدين وأنواعه كثيرة.

وأداءً لأمانة التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حاولتُ ترتيب أصول المفاسد التي تبطل الديانات، وتهدم الحضارات، وتخرم العدالة والمروءات ، وقبل ذلك تعدم الإنسان!

---

(١) سورة الأعراف: ٧٤.

(٢) سورة هود: ٨٥ .

(٣) سورة الأعراف: ١٤٢.

وقد رتبتُها حسب ترتيب كُليّات الدِّين الخمس المرتّبة عند علماء مقاصد الشريعة؛ لأهميتها، ولأن المفاسد كلّها تخرمها وتبطلها ، وبذلتُ الجهد لتشخيص سبب الفساد بأنواعه المختلفة ، وذكرتُ العلاج لهذه المفاسد.

وقد دُعيت للمشاركة في ندوة من قبَلِ الهيئة العُليا لمكافحة الفساد باليمن، بإلقاء محاضرة عن الفساد من الجانب الشرعي، وسلمتُ لهم نسخة من هذا البحث إلا أن جائحة كورونا كانت سبباً في الحيلولة من إلقاء هذه المحاضرة، ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ، والشكر موصول لكل من ساهم لإقامة اللقاءات والندوات؛ لأجل مكافحة الفساد بالفكر الرشيد، والقلم الحريص، والفهم السديد، فأوّل الإصلاح العملي والحقيقي رُؤية صالحة، وأوّل الحُلول استشعار الخطب والفساد في المجتمعات.

وقد رتّبتُ هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، فيما يأتي:

التمهيد: وفيه شمول الفساد لكليّات الدِّين، وأهمية معرفة الكليّات الخمس

المبحث الأول: تعريف الفساد لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: أنواع الفساد حسب كليّات الدِّين الخمس

المبحث الثالث: أسباب الفساد وعلاجه

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

شمول الفساد لكليات الدين، وأهمية معرفة الكليات الخمس[1]

إن المتأمل في جميع أحكام الشريعة الإسلامية قاطبة يجدها تُحقّق كليات[2] الدين الخمس وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، و النسل (العِرض)، والمال، فالشريعة جاءت لإصلاح الخلق في الدارين، وذلك عن طريق كليّات الدين، قال الإمام **الغزالي** ـ رحمه الله ـ: (ومقصود الشرْع من الخلق خمسة: وهو

(١) انظر: المدخل إلى علم مقاصد الشريعة ٢١ ـ ٢٨، لكاتب هذه السطور ـ عفا الله عنه ـ .

(٢) الكليّة: كلمة تستعمل بمعنى الاستغراق على سبيل الانفراد بأن تشمل كل فرد فرد، وجمع كلية كليات، وسميت بذلك؛ لأنها تشمل كل الجزئيات والفروع. انظر: الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٥٣٨ باب الكاف، والجرجاني التعريفات ١٥٢.

أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكلُّ ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكلُّ ما يُفوِّت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة)[١].

فهذه الكليّات تُعتبر قواعد الشريعة كلّها، وأصول الدين وأُسس الحياة في الدارين، قال العلامة **الشاطبي** ـ رحمه الله ـ: (إن مصالح الدين والدنيا مَبنيةٌ على المحافظة على الأمور الخمسة المذكورة فيما تقدّم، فإذا اعتُبر قيام هذا الوجود الدنيوي مبنياً عليها، حتى إذا اخرمت لم يبق للدنيا وجود ـ أعني : ما هو خاص بالمكلفين والتكليف ـ وكذلك الأمور الأُخروية لا قيام لها إلا بذلك، فلو عُدِم الدين عُدِم ترتب الجزاء المرتجَى، ولو عُدِمَ المكلَّف لعُدم من يتديّن، ولو عُدِم العقل لارتفع التديّن، ولو عُدِم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عُدِم المال لم يبق عيش ... فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء. وهذا كلّه معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا، وأنها زاد للآخرة)[٢].

ولا يختلف الأنبياء في الحفاظ على الكليّات الخمس، وإنما وقع الخلاف في الفروع الجزئية، قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٣]، وهذا في الأصول، وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[٤]، ففي الفروع، ويُقرر الشاطبي ـ رحمه الله ـ أن كل ما يعود بالحفظ على الكليات الخمس ثابت لا ينسخ[٥].

ودليل هذه الكليّات الخمس ليس دليلاً مُعيناً، بل ثبتت بنصوص الشريعة كلّها ،كذا يقول الغزالي والشاطبي، قال **الغزالي** ـ رحمه الله ـ: (وتحريم تفْويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها، يستحيلُ أن لا تشتمل عليه مِلة من الملل، ولا شريعة أُريد بها إصلاح الخلق)[٦]، وقال أيضاً: (وكان هذا التفاتاً إلى مصلحةٍ عُلم بالضرورة كونها مقصودة الشرع، لا بدليل واحدٍ وأصلٍ مُعيّن، بل بأدلة خارجة عن الحصر)[٧].

وذكر العلامة محمد الطاهر **بن عاشور** ـ رحمه الله ـ أن بعض علماء الأصول تنبّه إلى أن هذه الضروريات الخمس مُشار إليها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ

---

(١)المستصفى ، ١٧٥.

(٢) الموافقات، ٢/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) سورة الشورى :١٣ .

(٤) سورة المائدة: ٤٨.

(٥) الموافقات، ١٠٩/٣.

(٦) المستصفى، ١٧٥.

(٧) المصدر السابق ١٧٧.

بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [1]، إذْ لا خصوصية للنساء المؤمنات، بل تشمل المؤمنين أيضاً [2] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكليات الخمس بقوله سبحانه وتعالى : ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (في الأنعام آيات مُحكمات هُنّ أم الكتاب ثم قرأ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ...الآيات ﴾)[4]، وعن عُبَادَة بن الصَّامِتِ ﷺ قال : (كنا عِنْدَ النبي ﷺ في مَجْلِسٍ فقال: بَايِعُونِي على أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شيئاً، ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا ، وَقَرَأَ هذه الْآيَةَ كُلَّهَا، فَمَنْ وفي مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ على اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ من ذلك شيئاً فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ من ذلك شيئاً فَسَتَرَهُ الله عليه إن شَاءَ غَفَرَ له وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ) [5].

ولا يخفى على دارس أحكام الشريعة أن مقصود الشارع الحكيم من تحريم المحرمات كبائرها وصغائرها . وكذا ما كرهه الشارع . هو لأجل سلامة دين الإنسان ونفسه وعقله ونسله وماله ، والمفاسد كلها تضيعها وتعدمها، فلذا وجب الحذر منها، وكان الأولى . فيما يبدو لي . أن تعرض هذه المفاسد بترتب كليات الدين الخمس؛ لأجل معرفة قوتها من حيث ترتيبها، ولأجل تصوير ما يلحق بكل واحدة منها مما يندرج ضمنها .

وقد وجدتُ نصاً فريداً يُؤيّد ما رتبتُ به المفاسد حسب كليّات الدِّين الخمس، وهو للإمام الرازي . رحمه الله . وهو نصٌ نفيسٌ من خبير بالمنقول والمعقول :

---

(١) سورة الممتحنة: ١٢.

(٢) انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ٧٧.

(٣) سورة الأنعام :١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ك: التفسير، باب: تفسير سورة الأنعام، ح ٣٢٣٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقرّه الذهبي ٣٤٧/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الحدود، بَاب: الْحُدُودُ كَفَّارَةٌ، ح ٦٤٠٢ .

قال الإمام **فخر الدين الرازي** . رحمه الله . : (قوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [1]، معناه ولا تفسدوا شيئاً في الأرض، فيدخل فيه المنع من إفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة ووجوه الحِيل ، وإفساد الأديان بالكفر والبِدعة ، وإفساد الأنساب بسبب الإقدام على الزنا واللواطة وسبب القذف ، وإفساد العقول بسبب شرب المكسرات، وذلك لأن المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه الخمسة : النفوس والأموال والأنساب والأديان والعقول . **فقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا ﴾ منع عن إدخال ماهيّة الإفساد في الوجود ، والمنع من إدخال الماهيّة في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه وأصنافه، فيتناول المنع من الإفساد في هذه الأقسام الخمسة)** [2].

وقد رتبتُ هذه المفاسد حسب كليات الخمس؛ لأهميتها، ولشمول هذه المفسدات الكليّات كلها.

المبحث الأول

تعريف الفساد لغة واصطلاحاً

الفساد في اللغة:

للفساد في اللغة عدة معاني فمن أهمها وأشهرها :

١. ضدُّ الصلاح: وهو مصدر فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ فَسَادًا وفُسُودًا، وهو فاسِدٌ وفَسِيْدٌ، وقوم فَسْدَى، وفَسُدَ الشيء فهو فسيد، والاسْتِفْسَادُ: خلاف الاستصلاح، والمِفْسَدَة: خِلاف المصلحة .

٢. التقاطع : تقول :تَفَاسَدَ القومُ :تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام.

٣. الفساد : خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج أو كثيراً، ويستعمل ذلك في النفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة [3].

---

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) التفسير الكبير ـ فتوحات الغيب ـ ١٠٨/١٤.

(٣) انظر: المفردات للراغب ٢: ١٩٢، لسان العرب ٣: ٣٣٥ مادة فسد، بصائر ذوي التمييز ٤: ١٩٢، التوقيف للمناوي ص٥٥٦.

الفساد في الاصطلاح:

١. الفساد: تغيُّر عمَّا كان عليه من الصَّلاح، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته، ويقال فيه مع انتقاضها، ويقال فيه إذا بطل وزال، ويُذكر الفساد في الدِّين كما يذكر في الذَّات، فتارةً يكون بالعِصيان، وتارة بالكفر، ويُقال في الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدَّ بها[١] .

٢. الفساد: زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، وهذا عند الحكماء، وعند الفقهاء: ما كان مشروعاً بأصله، غير مشروع بوصفه، وهو مرادف للبطلان عند الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ [٢].

٣. الفساد: هو انتقاص صورة الشيء، وفساد الوضع: أن لا يكون الدليل على الهيئة الصالحة لاعتباره في ترتيب الحُكم، وفساد الاعتبار: أن يخالف الدليل نصًا أو إجماعًا، وهو أعم من فساد الوضع [٣].

٤. المفسدة : وصف للفعل يحصل به الفساد، أي: الضرُّ دائماً أو غالباً، لجمهور الناس أو للآحاد منهم[٤].

٥. الفساد : ما حرّم الله تعالى قربانه، وكرِه الله إتيانه[٥].

والفساد أعمُّ منَ الظلم؛ لأنَّ الظلم نقص، أما الفساد فيقع عليه وعلى الابتداع واللهو واللعب.

وأمَّا الإفساد: فهو جعل الشيء فاسدًا خارجًا عمَّا ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه مُنتفعًا به، والإفساد في الحقيقة: إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح [٦].

تعريف الفساد عند المنظمات الحقوقيّة :

وقد عرفته "منظمة الشفافية العالمية" التي تأسست سنة ١٩٩٣ بأنه: "سوء استغلال السلطة من أجل تحقيق المكاسب والمنافع الخاصة"

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر ص٤٦٩، وانظر: التفسير الكبير ـ فتوحات الغيب للرازي٢/ ٦٠.

(٢)انظر: التعريفات ص٢١٤، و التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٥٥٦.

(٣)انظر: التوقيف للمناوي ص٥٥٦.

(٤) انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور٢٧٩.

(٥)انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام٤٨/١. مقاصد الشريعة لابن عاشور٢٩٠.

(٦)انظر: الكليات لأبي البقاء ص٢٢٠.

أما "اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد" لسنة ٢٠٠٣، فإنها لم تتطرق لتعريف الفساد، لكنها جرمت حالات الفساد التي حددتها في:

- رشوة الموظفين العموميين الوطنيين.
- رشوة الموظفين العموميين الأجانب وموظفي المؤسسات الدولية العمومية.
- اختلاس الممتلكات أو تبديدها أو تسريبها بشكل آخر من طرف موظف عمومي.
- المتاجرة بالنفوذ.
- إساءة استغلال الوظائف.
- الإثراء غير المشروع.
- الرشوة في القطاع الخاص.
- اختلاس الممتلكات في القطاع الخاص.
- غسل العائدات الإجرامية.
- الإخفاء.
- إعاقة سير العدالة.

ثم عرفت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد : هو القيام بأعمال تمثّل أداء غير سليم الواجب، أو إساءة استغلال لموقع أو سلطة بما في ذلك أفعال الإغفال توقعاً لمزيّة، أو سعياً للحصول على مزيّة يوعد بها، أو تعرض، أو تطلب بشكل مباشر أو غير مباشر، أو أثر قبول مزية ممنوحة بشكل سواء للشخص ذاته أو لصالح شخص آخر.

وعرف البنك الدولي للفساد بأنه : إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص .

وعرف صندوق النقد الدولي الفساد بأنه : علاقة الأيدي الطويلة والخفيّة المعتمدة التي تهدف إلى كسب الفوائد والأرباح، بصورة غير مشروعة قانوناً من هذا السلوك لشخص واحد أو لمجموعة ذات العلاقة بالآخرين .

ما يلاحظ على تعاريف المنظمات الدولية أعلاه: أنها ركّزت على جانب من جوانب الفساد انطلاقاً من رؤيتها العامة، ولدورها في الاقتصاد العالمي، وخاصة ما ارتبط بصندوق النقد والبنك الدوليين. ولم تنأى منظمة الشفافية الدولية بتعريفها عن تعريف المنظمتين السابقتين، وكان التركيز دائماً منصباً على سُوء استغلال السلطة؛ لتحقيق مكاسب خاصة، وربما تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد كان أشمل وأكثر تفصيلاً لكنه في إطار ما، ركّز فقط على جانبي الرشوة والعُمولة [١].

وبالنظر إلى تعريفات المنظمات: نجدها لم تعد كثيراً من المفاسد التي أجمعت الرسالات السماوية المتتالية على تحريمها وتجريمها ممّا يهلك: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فلم تُشر لجعل شرب الخمور، وتعاطي المخدرات من المفاسد، وكذا لا ترى الاختلاط والزنا والفجور والخنا من المفسدات المهلكات للأخلاق والمبادئ والقيم، مع أن ذلك فيه تهديد على البشرية ، فما الأمراض المنتقلة بواسطة الفواحش إلا من مفاسد الانحراف الخلقي ، بل ولم تجعل العِداء للأنبياء وللرسل . عليهم الصلاة والسلام . والاستهزاء بهم أو اعتقاد بعض صفات الله تعالى فيهم من مفاسد الدين، بل الخروج عن الفطرة .

فليس للبشرية وللخليقة من صلاح إلّا الاستمساك بما دعت وحافظت عليه الشرائع السماوية كلها ، ولم تتخلّف شريعة من الشرائع السماوية عن الحفاظ على كليّات الدِّين الخمس، وتحريم المفاسد كلها التي تخرمها وتهدمها .

قال الإمام **القرطبي** . رحمه الله . : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[٢] ، قلتُ : والآية بعمومها تعمُّ كل فساد كان في أرض أو مال أو دين، وهو الصحيح . إن شاء الله تعالى ـ[٣].

---

(١) انظر: سبل تعزيز المساءلة والشفافية لمكافحة الفساد وتمكين الحكم الراشد في الدول العربية، لسايح بوزيد، مجلة الباحث، العدد العاشر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية. وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة-، الجزائر، ٢٠١٠ ، ص: ٥٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن٣/١٨.

ومن خلال نصوص الشرع العظيم، يمكن أن نجعل المعاصي كلّها بأنواعها صغيرها وكبيرها مفاسد، سواء كانت مفاسدها في الدنيا أو في الآخرة، وعلى ضوء هذا، فيمكن أن نعرّف الفساد على وفق اصطلاح الشرع بأنه :

ما حرّمته الشريعة الإسلامية أو كرهته ممّا يشمل المحرمات كالإفساد في الأرض، أو المكروهات كالبول في المياه الراكدة .

فكل مخالفة للنهي الشرعي يُعدُّ خروجاً عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم، سواء كانت هذه المخالفة في مجال الإيمان أو الأخلاق أو الجرائم على الأنفس والأعضاء أو الحقوق المدنية أو الحقوق العامة أو الخاصة.

قال الإمام **الطبري** . رحمه الله . : وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض [(١)].

ويؤيّد هذا التعريف الذي ذكرته، ما ورد عن أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ التابعي الكبير. رحمه الله . في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [(٢)]، قال : يعني لا تعصوا في الارض ، وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنه مَنْ عصى الله في الارض أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الارض ؛ لان صلاح الأرض والسماء بالطاعة [(٣)].

وإظهار معصية الله تعالى إنما كان إفساداً في الأرض ؛ لأن الشرائع سُنن موضوعة بين العباد، فإذا تمسّك الخلق بها زال العدوان، ولزِمَ كلُّ أحدٍ شأنه، فحُقنت الدماء، وسكنت الفتن، وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها، أما إذا تركوا التمسّك بالشرائع، وأقدم كل أحدٍ على ما يهواه، لزِمَ الهرج والمرج

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢/ ٣١٧.

(٢) سورة البقرة: ١١.

(٣)أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٢٥، وابن أبي حاتم الرازي في تفسير القرآن١/ ٤٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير١/٥٠. وأبو العالية كان إماماً في القرآن والتفسير والعلم والعمل . انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي١/ ٦١.

والاضطراب، ولذلك قال تعالى :﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1]، ولهذا نبّههم الله تعالى على أنهم إذا أعرضوا عن الطاعة لم يحصلوا إلّا على الإفساد في الأرض به[2].

مراتب الفساد، واختلافها إثمها:

فصّل الإمام **العزّ بن عبد السلام** . رحمه الله . مراتب الفساد ، ومثّل لها بأمثلة مفيدة جداً ، وهي تدلُّ على عُمقِ الإمام في مقاصد الشريعة ومراتبها، وبها يتميّز العلماء المحققون عن غيرهم، وبذلك يستطيع أحدهم عند التعارض أو الاضطراب في قضيّة أو مسألة ما المقارنة والحُكم المناسب .

قال الإمام العز بن عبد السلام . رحمه الله .: (رُتب المفاسد، وهي: ضربان، ضرب: حرّم الله قُربانه، وضرب: كرِهَ الله إيتائه، ولمفاسد ما حرّم الله قربانه رُتبتان: أحدهما رتبة الكبائر، وهي منقسمة إلى الكبير والاكبر، والمتوسط بينهما، فالأكبر أعظم الكبائر مَفسدة، وكذلك الأنقص فالأنقص، ولا تزال مفاسد الكبائر تتناقص إلى أن تنتهي إلى مفسدة لو نقصت لوقعت في أعظم رُتب مفاسد الصغائر، وهي الرتبة الثانية، ثم لا تزال مفاسد الصغائر تتناقص إلى أن تنتهي إلى مفسدة لو فاتت لانتهت إلى أعلى رُتب مفاسد المكروهات، وفي الضرب الثاني من رُتب المفاسد ولا تزال تتناقص مفاسد المكروهات إلى أن تنتهي إلى حدِّ لو زال لوقعت في المباح، وقد أبان صلى الله عليه وسلم من تفاوت الكبائر ثلاث مراتب؛ إذ سئل عليه السلام أيُّ الذنوب أكبر؟ فقال: (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ) قيل ثُمَّ أَيُّ قال: (وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ) قيل ثُمَّ أَيُّ قال: (أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) [3]، جعل الكفر أكبر الكبائر مع قبحه في نفسه؛ لجلبه لأقبح المفاسد، ودرئه لأحسن المصالح؛ فإنه يجلبُ مفاسد الكفر، ويدرأ مصالح الإيمان، ومفاسده ضربان: أحدهما عاجلة، وهي إراقة الدماء، وسلب الأموال، وإرقاق الحُرم والأطفال، الضرب الثاني: آجلة، وهي خُلود النيران مع سخط الدّيان، وأما درْؤه لأحسن المصالح؛ فإنه يدرأ في الدنيا عن المشركين التوحيد والإيمان، وعن الإسلام والأمن من القتل والسبي، واغتنام الأموال، ويدرأ في الاخرة نعيم الجنان، ورضا الرحمن، وجعل قتل الأولاد تالياً؛ لاتخاذ الأنداد؛ لما فيه من الإفساد، وقطع الأرحام، والخروج من حيّز العدالة إلى حيّز الفسوق والعصيان، مع التعرّض لعقاب الاخرة، وتغريم

---

(١) سورة محمد: ٢٢ .

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي٢/ ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك:التفسير،بَاب قَوْلُهُ تَعَالَى: (فلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ح٤٢٠٧.

الدِّية والكفارة، والانعزال عن الوِلاية التي تشترط فيها العدالة، وجعل الزنا بحليلة جاره تِلو قتل الأولاد؛ لما في ذلك من مفاسد الزنا كاختلاف المياه، واشتباه الأنساب، وحصول العار، وأذيّة الجار، والتعرّض لحدِّ الدنيا أو لعقاب الآخرة، والانتقال من حيّز العدالة إلى حيّز الفسوق، والعصيان والانعزال عن جميع الوِلايات) [1].

ثم يختلف إثم المفاسد باختلافها في الصغر والكبر، وباختلاف ما تفوّته من المنافع والمصالح، فيختلف الإثم في قطع الأعضاء، وقتل النفوس، وإزلة منافع الأعضاء باختلاف المنافع، فليس إثم من قطع الخنصر والبنصر من الرِّجل كإثم من قطع الخنصر والبنصر من اليد؛ لما فوته من منافعها الدينية والدنيوية، وسواء قطع ذلك من نفسه أو من غيره، وليس الاثم في قطع الآذن كالإثم في قطع اللسان .

وليس من قتل فاسقاً ظالماً من فسّاق المسلمين بمثابة مَنْ قتل إماماً عدلاً أو حاكماً مُقْسطاً أو ولياً منصفاً؛ لما فوّته على المسلمين من العدل والإقساط والأنصاف، وعلى هذا حمَلَ بعضهم قوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [2]، لما عمّت المفسدة في قتل أحدها، وجعل إثمها كإثم من قتل الناس جميعاً لما فوّته على الناس من مصالح بقائه، ولما عمّت المفسدة في انقاذ وُلاة العدل والإقساط والأنصاف من المهالك جُعل أجر منقذها كأجر منقذ الناس من أسباب الهلاك جميعاً؛ لعموم ما سعى فيه من المصالح .

والمدار في هذا كلّه: على رُتب تفْويت المصالح وتحقيق المفاسد، فكلُّ عضو كانت منفعته أتم كانت الجناية عليه أعظم وزْراً، فليست الجناية على العقل واللسان كالجناية على الخناصر والآذان [3].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٤٨/١ ـ ٤٩.

(٢) سورة المائدة: ٣٢ .

(٣) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١١٠/١ ـ ١١١.

المبحث الثاني

أنواع الفساد حسب كليّات الدِّين الخمس

النوع الأول الفساد المتعلّق بكليّة الدِّين

من جملة الفساد المتعلّق بكلية الدِّين :

١. الكفر بالله سبحانه تعالى والنفاق . والعياذ بالله . :

فالكفر بالله تعالى وعدم الإيمان به وإنكار دعوة رسله وأنبيائه، يُعدُّ فساداً ؛ لأن أربابه لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً ، دأبهم نشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة، فمن قطعَ صلته بالله تعالى فهو إلى قطع الناس أشدّ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١]، فإفسادهم في الأرض: باستدعائهم إلى الكفر، والترغيب فيه، وحمل الناس عليه، وصدّهم الناس عن الإيمان، والاستهزاء بالحقّ، ويقطعون ما يلزم وصله، وإن ادعوا الإيمان فالله تعالى يعلم بالمفسدين منهم المصرّين على الكفر، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

والشرك بالله والصد عن سبيله يُعدّ إفساداً قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾[٤]، فهؤلاء جمعوا بين إفسادين: كفرٌ بالله، وصدٌ عن سبيل الله، وقال تعالى عن شعيب . عليه السلام . أنّه قال لقومه: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧ .

(٢) سورة يونس: ٤٠ .

(٣) سورة الأعراف: ٥٦ .

(٤) سورة النحل: ٨٨.

(٥) سورة الأعراف: ٨٦ .

والنِّفاق إفساد في الأرض، ففيه إضلال الناس؛ إذ يدَّعون الإصلاح وهم يُضمرون الإفساد، بل يصرفون الناس عن الله تعالى، وعن أحكامه وحكمه وأسرار تشريعاته، قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1]، فالآيتان وردتا في سياق ذكر المنافقين، وهو رأي جماهير المفسرين من السلف والخلف[2].

٢. المعاصي:

فالمعاصي أصل كُلّ بلاءٍ وعناء ، وهذا التغيّر فساد، وهو ضد الصلاح، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فالفساد بالمعاصي مُوجبة لفساد العالَم بالقحط والفتن، بعد إصلاحها بالخصب والأمان بما يحقِّق منافع الخلق ومصالح المكلَّفين، فالنهي في الآية عامّ يشمل كلَّ فسادٍ قلَّ أو كَثُر، ومن أنواعه: إفساد النفوس والأنساب، والأموال، والعقول، والأديان، قال الإمام **البغوي** . رحمه الله .: أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاء إلى غير طاعة الله تعالى بعد إصلاح الله إيّاها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسُدّي والضّحاك والكلبي، وقال عطيّة: لا تعصوا في الأرض؛ فيمسك الله المطر، ويُهلك الحرث بمعاصيكم[3]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[4]، ويفسدون في الأرض: فسادهم فيها عملَهم بمعاصي الله [5].

ومن الآيات الذامة بالمفسدين من العصاة الذي يجرون وراء العلو والترفّع والإفساد، قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6]، قال ابن جريج . رحمه الله . قوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾: تعظّماً وتجبراً، ولا فساداً عملاً بالمعاصي [7].

---

(١) سورة البقرة: ١١ - ١٢ .

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي - تفسير البغوي -١٦٦/٢ .

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣/ ٢٣٨.

(٤) سورة الرعد: ٢٥.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل آي القران للطبري١٣/ ١٤٣.

(٦) سورة القصص: ٨٣.

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل آي القران ٢٠/ ١٢٢.

ومن جملة الفساد ممّا يندرج ضمن المعاصي: أن تكون صلاة أحدهم فاسدة؛ إما لفقد شرط من شروطها، أو لفقد الإخلاص فيها، ولهذا وصف رسول الله ﷺ تلك الصلاة بأنها فاسدة، فقال ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ)[1].

٣. ضعف الولاء والبراء بين المسلمين:

ضعف الولاء والبراء بين المسلمين من المفاسد الكبرى، التي تجعلهم لُقمة سائغة للكافرين، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾[2].

وبيان هذه الفتنة والفساد من ثلاثة وجوه :

الأول : أن المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين، وقلة عددهم، وزمان قوّة الكفار وكثرة عددهم ، فربما صارت تلك المخالطة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار .

الثاني : أن المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم ، فيصير ذلك سبباً لجراءة الكفار عليهم .

الثالث : أنه إذا كان جمع المسلمين كل يوم في الزيادة في العدة والعدة ، صار ذلك سبباً لمزيد رغبتهم فيما هم فيه، ورغبة المخالف في الالتحاق بهم [3].

٤. ترك الجهاد ودفع السوء عن المجتمعات :

ترك الجهاد ودفع السوء عن المسلمين سبب لترك المجال للكفرة والمفسدين أن يعيثوا فساداً وخراباً ، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه ك: أبواب الصلاة ، بَاب ما جاء أَنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يوم الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ ح ٤١٣، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ ، والنسائي في سننه واللفظ له ك: الصلاة، بَاب الْمُحَاسَبَةِ على الصَّلَاةِ ح ٤٦٥.

(٢) سورة الأنفال: ٧٢ – ٧٣.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٥/ ١٦٨.

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، قال العلامة **ابن عاشور** . رحمه الله .: وبهذا الدِّفاع حصلت سلامة القوي، وهو ظاهر، وسلامة الضعيف أيضاً؛ لأن القوي إذا وجد التّعب والمكدرات في جلب النافع سَئِمَ ذلك، واقتصر على ما تدعو إليه الضرورة. وإنما كان الحاصل هو الفساد، لولا الدفاع، دون الصلاح؛ لأن الفساد كثيراً ما تندفع إليه القُوّة الشاهيّة بما يوجد في أكثر المفاسد من اللّذات العاجلة القصيرة الزمن؛ ولأن في كثير من النفوس أو أكثرها الميل إلى مفاسد كثيرة؛ لأن طبع النفوس الشريرة ألّا تُراعي مَضرّة غيرها، بخلاف النفوس الصالحة، فالنفوس الشريرة أعمد إلى انتهاك حرمات غيرها؛ ولأن الأعمال الفاسدة أسرع في حصول آثارها وانتشارها، فالقليل منها يأتي على الكثير من الصالحات، فلا جرم لولا دفاع الناس بأن يدافع صالحهم المفسدين، لأسرع ذلك في فساد حالهم، ولعمّ الفساد أمورهم في أسرع وقت. وأعظم مظاهر هذا الدفاع هو الحروب، فبالحرب الجائرة يطلب المحارب غصب منافع غيره، وبالحرب العادلة ينتصف المحق من المبطل، ولأجلها تتألّف العصبيات والدعوات إلى الحق، والإنحاء على الظالمين، وهزم الكافرين[2].

قال **ابن عباس** رضي الله عنهما **ومجاهد** . رحمه الله .: ولولا دفع الله بجنود المسلمين؛ لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخرّبوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجّار؛ لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر[3].

٥. الغلو في الدِّين والتطرّف فيه :

التطرّف فهم الدِّين فهماً مُنحرفاً، والغُلو فيه، والجهل بمقاصده، والبُعد عن جوهرِهِ ولُبِّه؛ ولهذا حذّر الله تعالى من الغُلو في الدِّين لكل الديانات، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[4]، وحذّر الرسول ﷺ من سلوك الغلو واتباع من غلا من الأمم السابقة، فعن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ : (أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ

(١) سورة البقرة: ٢٥١ .
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ٥٠٢- ٥٠٣.
(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي١/ ٣٠٨.
(٤) سورة النساء، آية : ١٧١.

قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[1]، وقد أمر رسول الله ﷺ أُمته باتباع اليُسر في أحكام الدين، وعدم التعمّق والتشدّد فيها، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبِي ﷺ قَالَ:(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[2] .

ووجه الانحراف والفساد للمتطرّفين والمغالين هو أنهم: يُؤولون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حسب أهوائهم وأفكارهم السابقة، ويلْوون نصوص الكتاب والسنة لمقاصدهم ومذاهبهم ؛ ليكفّروا أو ينحرفوا عن طريق الجادة والصواب ، فقد كان ابن عُمَر رضي الله عنهما يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ، وَقَالَ: (إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ)[3].

ومن نماذج الفساد في الدِّين إظهار الخشية والحِرص على تعاليم الدِّين الحقّ، مع وجود الحجج الظاهرة والبينات الجليّة، فقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه يدّعي أن موسى ـ عليه السلام ـ يريد أن يبدّل الدين الصحيح، وهو الذي كانوا عليه، فلمّا كان موسى ساعياً في إفساده ـ على زعمهم ـ كان في اعتقادهم أنه ساع في إفساد الدين الحق، فقال فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ ثم أتبعه بذكر فساد الدنيا فقال : ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾[4]، [5].

وغالب الانحراف والفساد في فهم الدين يكون من صغار السّن الذين لم يأخذوا العلم عن الشيوخ ، ففي الحديث : (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ[6])[7]، قال الحافظ **ابن**

---

(1) أخرجه النسائي في سننه ك: مناسك الحج، الْتِقَاطِ الْحَصَى، حديث رقم: ٣٠٥٧، وابن ماجه واللفظ له في سننه أبواب: المناسك، بَابُ: قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ، حديث رقم: ٣٠٢٩، قال النووي: رواه النسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم. المجموع شرح المهذب٨/ ١٣٨، وقد جوّده ابن الملقن، بعد ذكره لرواياته، في البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ٦/٢٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الإيمان، بَاب: الدِّينُ يُسْرٌ، حديث رقم: ٣٩.

(3)أخرجه البخاري معلقاً واللفظ له ك: استتابة المرتدين ، بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، ورواه ابن عبدالبر في التمهيد موصولاً بسنده ٢٣/ ٣٣٥، قال الحافظ ابن حجر: وقال أبو جعفر الطبري في كتاب تهذيب الآثار له: ثنا يونس ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيراً حدّثه أنه سأل نافعاً كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ قال: (يراهم شرار خلق الله انطلقوا إلى آيات في الكفار فجعلوها في المؤمنين)،وهكذا ذكر ابن عبدالبر في الإستذكار أن ابن وهب رواه في جامعه وبيّن أن بكيراً هو: ابن عبدالله بن الأشج وإسناده صحيح. تغليق التعليق على صحيح البخاري٥/٢٥٩، وفتح الباري١٢/ ٢٨٦.

(٤) سورة غافر: ٢٦.

(٥) انظر: التفسير الكبير للرازي٢٧/ ٤٩.

(6) حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ :حُدَثَاءَ وَهُوَ جَمْعُ حَدِيثٍ، وَالْأَسْنَانُ جَمْعُ سِنٍّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْعُمْرُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ شَبَابٌ صغار، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ: جَمْعُ حِلْمٍ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْعَقْلُ وَالْمَعْنَى أَنَّ عُقُولَهُمْ رَدِيئَةٌ. انظر: فتح الباري١٢/ ٢٨٧.

(7) أخرجه البخاري واللفظ له ك: المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ ح ٣٦١١.، ومسلم ك: الزكاة ، بَاب التَّحْرِيضِ على قَتْلِ الْخَوَارِجِ ح ١٠٦٦.

حجر . رحمه الله .: (وفي مصنّف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر: (فَسَادُ الدِّينِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ، اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ، وَصَلَاحُ النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ، تَابَعَهُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ) [(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال سمعت حِبِّي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يقول : (إنّ فَسَادَ أمتي على يدي غِلْمَةٍ سُفَهَاءَ من قُرَيْشٍ) [(٢)].

٦. الفساد السياسي :

لا يخفى أن فساد الحكّام والأمراء يستلزم منه . غالباً . فساد في الدِّين، فالشرائع في ظل الحكومات الفاسدة مسلُوبة، والحقوق منهوبة، والجهاد الحق في ظلّها متروك ، قال عمر بن الخطاب ﷺ : اعلموا أنه لا يزال الناس مُستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهُداتهم[(٣)] .

فإذا دخل حكّام السوء البلاد عاثوا فيها الفساد ، ومنعوا الأكفاء من الحُكم وتولّي القيادة، قال الله تعالى حاكياً عن بلقيس، ومُقرّراً لكلامها : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[(٤)] .

نقل العلامة **محمد بن عمر باجمّال الحضرمي** . رحمه الله . عن الشيخ عمر بن محمد بن حميد اليمني . رحمه الله . قوله في أهمية صلاح الحاكم وخطر فساده: (كل بلاد بلا سلطان فسلطانها الشيطان، وكل بلاد بلا سلطان فلا تخلو من لعنة الرحمن، تلك البلاد معترك الشيطان، لا خير في سكانها وإن كثروا، ولا طمع في صلاحهم وإن قلّوا، وخير البقاع بقاع السلاطين، والسلطان عليه لواء معقود بالستر الجميل مادام يرعى رعيته، ولله به لطفٌ عظيم إذ هو قد أقامه في مقام عظيم، يعني به: القدرةَ والأمر النافذ على الرعية، وهنا مجال الوالي والأمير، والمطالبة عليه هنا، وكل أحد ذي حالٍ ورتبةٍ له مجال قد أقيم فيه، وهو

---

(١) فتح الباري ٣٠٢/١٣،وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٨٩، والخطيب في الفقيه والمتفقه٢/ ١٥٨

(٢)أخرجه أحمد في مسنده ٣٠٤/٢، والحاكم في مستدركه ٥١٦/٤، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد شهد حذيفة بن اليمان بصحة هذا الحديث. والبخاري بلفظ: (هَلَاكُ أُمَّتِي على يَدَيْ غِلْمَةٍ من قُرَيْشٍ) ك:المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ في الْإِسْلَامِ ح ٣٤١٠.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٢٠٠ .

(٤) سورة النمل: ٣٤ .

مما يعنيه، ويطالب بها في الدنيا والآخرة، فافهم، وإنما دخلت المفسدة والنقيصة على العامة بسبب أكابرهم المتبوعين مع الفسق والجهل في الدّين. ولله در من قال:

وهل أفسدَ الناسَ إلّا الملُوك * وأحبار سوءٍ ورهبَانُها

وباعوا النفوسَ ولم يربَحوا * ولمْ يَغْلُ في البيعِ أثمانُها

لقد وقع القومُ في جيفةٍ * تبيّن للعقل إنتانُها

فتأمل أخي ذلك، وأصلح نفسك، واعرف الحق تعرف أهله.

ولله درّ من قال : يا معشرّ القُرّاء يا ملحَ البلدْ * ما يُصلِحُ الملحَ إذا الملحُ فسدْ؟

وأيضاً ورد: (صنفان من أُمتي إذا صلحوا صلَحَ الناس، وإذا فسدُوا فسدَ الناس: الأمراءُ والفقهاءُ) [1]، وكفى بهذا نصحاً وتعليماً) [2].

النوع الثاني: الفساد المتعلق بالنفس

من جملة الفساد المتعلّق بكلية النفس :

١. قتل النفس :

قتل النفس إفساد، وتعظُم الجريرة إذا كان المقتول مُصلحاً، قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [3].

قال **ابن عباس** رضي الله عنهما قوله: وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون هم الذين عقروا الناقة، وقالوا حين عقروها: نبيّت صالحاً وأهله فنقتلهم، ثم نقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئاً، ومالنا به علم فدمّرهم الله أجمعين [1].

---

(١)أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢٠٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء٤/ ٩٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا، قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/ ٦.

(٢) مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين ٢٧٣ . ٢٧٤.

(٣) سورة النمل: ٤٨ – ٤٩.

وقتل الأنفس البريئة إفساد قال جلّ جلاله عن فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٢]،ولذا قالت الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾[٤].

فقصد القتل، وبثّ الفساد على وجه الأرض؛ لإضلال الناس جريمةٌ نكراء، وكبيرةٌ من كبائر الذنوب، فعن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ على اللَّهِ من قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ) [٥].

وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) [٦].

٢. الحِرَابة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٧].

المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق، وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يُطلق على أنواع من الشّر [٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٧٢/١٩.

(٢)سورة القصص: ٤ .

(٣)سورة البقرة: ٣٠ .

(٤)سورة المائدة: ٣٢.

(٥)أخرجه الترمذي في سننه ك: الديات ، بَاب ما جاء في تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ ح ١٣٩٥، وابن ماجه في سننه واللفظ له ك: الديات، بَاب التَّغْلِيظِ في قَتْلِ مُسْلِمٍ ظُلْمًا ح ٢٦١٩، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه البيهقي والأصبهاني من هذا الوجه وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو ورواه النسائي في الصغرى من حديث بريدة بن الحصيب ومن حديث عبد الله. مصباح الزجاجة ٣/ ١٢٢ .

(٦)أخرجه البخاري في صحيحه ك: الدِّيَاتِ وقول اللَّهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) ح ٦٤٦٩.

(٧)سورة المائدة: ٣٣ .

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٩/٢.

٣. فساد البيئة:

قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١]، وفساد البرّ: خرابه، وغور مياهه، وقلّة نباته، وقلة أمطاره، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جرّاء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات وكثرة المضار، وموت الحيوان المنتفع به، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض، وأمَّا فساد البحر: ككثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، وكثرة الغرق، وقلة السلامة، وانقطاع الصيد، وموت الأسماك والأحياء البحرية؛ بسبب تلويث المصانع، وانتشار المواد السامة؛ بسبب الحروب وغيرها، وكلا الفسادين بشؤم ما كسبت أيدي الناس من المعاصي والذنوب[٢].

قال العلامة **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ : فاعلم أن الله سبحانه أتقن كل شيء صُنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو عند مبدأ خلقه بريء من الآفات والعلل، تام المنفعة لما هيّء وخُلق له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر من مجاورة او امتزاج واختلاط، أو أسباب أخر تقتضي فساده، فلو ترك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به لم يفسد ، ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بنى آدم ومخالفتهم للرسل تحدِث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام والطواعين والقُحوط والجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها، وسلب منافعها أو نقصانها أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضاً، فإن لم يتّسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، ونزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها وأنت ترى كيف تحدث من تلك الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان وكيف يحدث من تلك الآفات آفات آخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض، وكلّما أحدث الناس ظلماً وفجوراً أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم

---

(١)سورة الروم: ٤١ .

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور١١٠/٢١.

ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات ما هو مُوجب أعمالهم وظلمهم وفُجورهم[1] .

وقدْ حرَّمَ الإسلام الإضرارَ بالبيئة؛ لأَنَّ بها قِوامَ الإنسان، وتوعَّد اللهُ سبحانه وتعالى المفسِدَ للطبيعة والبيئة بالعقابِ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾[2]، فذكرَت الآيةُ الفسَاد فِي الأَرْضِ، وَإهلاك الحرْث، وهو محلُّ نماءِ الزُّرُوع والثِّمار، والنَّسْل وهو نِتَاج الْحيوانات الذين لا قِوام للنَّاس إلا بِهما، وإهلاكُ الحرثِ والنَّسْل كنايَةٌ عن اختلالِ ما بِهِ قِوامُ أحوال الناس، فهل تبقى أوطان إذا اختلَّ ما بهِ قِوام الخلق ؟! وكانوا قديماً أَهْل حَرْثٍ وماشِيةٍ، فليس المرادُ خُصوص هذَيْن، بلِ المرادُ ضياعُ ما بِهِ قِوَامُ الناس، وهذا جارٍ مَجْرَى العِلَّة، فيُقاس عليه الإضرارُ بالبيئَة كذلك، فعن السُّدِّيِّ قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾، قَالَ: (نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي زُهْرَةَ. وَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَأَظْهَرَ لَهُ الْإِسْلَامَ، فَأَعْجَبَ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا جِئْتُ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي صَادِقٌ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِزَرْعٍ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحُمُرٍ، فَأَحْرَقَ الزَّرْعَ، وَعَقَرَ الْحُمُرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ ﴾)[3]، وقال آخرون: بل نزلت الآية في قوم من أهل النفاق.

واللفظَ في الآيَةِ عامٌّ، والقاعدة تقضي أنَّ العبرة بعُموم اللَّفظ لا بخُصوص السَّبب، ولذلك كانت الآيَةُ عَامَّةً لجمِيع النَّاس، فَمَنْ عَمِل مثْل عمَلِ الأَخْنَسِ اسْتَوْجَبَ اللَّعْنَةَ وَالْعُقُوبَةَ . والعياذ بالله تعالى .. والآيَة دالَّةٌ على أنَّ منْ يَتسَبَّبُ في مثل ذلكَ مُسْتَحِقٌّ للعقاب في الآخرة، ولذلك جاءت خاتمة الآية: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾، تحذيرًا وتوبيخًا .

وقد يتلوَّثُ الماءُ بفعلِ الإنسانِ نتيجةً لما يستخدمهُ من مواد في الصناعةِ والزراعةِ، كالمعادن الثقيلة مثل: الرَّصاص والزِّئْبَق، والكيماويات والمركَّبات الخطرة، مثل: المبيدات الحشرية والمخَصِّبات. وقد يتلوثُ الماءُ أيضًا نتيجةً لمواد طبيعيةِ المنْشَأ، مثل: معدن الزِّرْنِيخ أو الكائنات الدقيقة المسَبِّبَةِ للأمراض منْ بكتيريا، وفيروسات، وطُفَيْلِيَّات كالديدان، وهذه المُلَوِّثات تجعلُ الماء غير صالحٍ للاستخدام، وإذا تُرِكَت هذه الملوثات دون معالجة فمن الممْكِنِ أن تُسَبِّب طائفة كاملة منَ الأمراض المتعلقة بالماء، والتي تُلْحِق ضررًا كبيرًا بصحَّة الإنسان، فكم من يموت بسبب الأمراض الناتجةِ عنْ تلوُّث مياه الشُّرب، كأمراضِ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣٦٢/٤ ـ ٣٦٣.
(٢) سورة البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن٥٧٢/٣.

الحُمَّى التِّيفِيَّة، والكوليرا، والبَلْهارِسْيا، وأمراض الإِسْهال الأُخْرى، وغير ذلك من أمراض خطيرة.

وقد أمر نبي الإسلام ﷺ بالحفاظ على جودة المياهِ ونظافتها، وحذَّر أشدَّ التحذيرِ من تلويثِ مصادرِ المياهِ، فعنْ معاذ بن جبلٍ ﷺ قالَ: لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثلاث: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ)[1]، وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ)، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)[2]، وعَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ)[3].

وقد أمر النبي ﷺ بتغطية الإناء، وربط سقاء الماء؛ حتى لا يصل إليه الغبار ولا الحشرات المؤذية، والحاملة للجراثيم، فعنْ جَابِرٍﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَطْفِئُوا المِصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ) [4].

النوع الثالث : الفساد المتعلق بالعقل

من جملة الفساد المتعلّق بكلية العقل :

١. السّحر:

السّحرُ سبيل المنحرفين الذين أفلسوا من قِيم الإسلام وطمأنينته، وهي لا تكون إلا في قلب امتلئ خوفاً وشوقاً، وعملهم لا يستمر ولا يستقيم، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[5]، وتعريف المفسدين بلام الجنس، من التعميم في جنس الإصلاح المنفي وجنس المفسدين؛ ليعلم أن سحرهم هو من قبيل عمل المفسدين ، وإضافة ﴿ عَمَلَ ﴾ إلى ﴿ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يُؤذِن بأنَّه عمل فاسد؛ لأنه فعل مَنْ شأنُهم الإفساد، فيكون نسجاً على منوالهم، وسيرة على معتادهم [6].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الطهارة، بَاب الْمَوَاضِعِ التي نهي النبي ﷺ عن الْبَوْلِ فيها، حديث رقم : ٢٦، وابن ماجه في سننه ك: الطهارة وسننها، بَاب النَّهْيِ عن الْخَلَاءِ على قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، حديث رقم: ٣٢٨. والحديث صحّحه ابن السكن والحاكم، لكن قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر؛ لأن أبا سعيد لم يسمع من معاذ، ولا يعرف هذا الحديث بغير هذا الإسناد قاله ابن القطان، وفي الباب عن ابن عباس نحوه، رواه أحمد وفيه ضعف. ثم ذكر للحديث شواهداً أخرى تعضده وترقيه للحسن، منها حديث مسلم الآتي. انظر: ابن حجر، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير١٠٥/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك:الطهارة، بَابُ: النَّهْيِ عَنِ التَّخَلِّي فِي الطُّرُقِ، وَالظِّلَالِ، حديث رقم: ٢٦٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ك:الطهارة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ البَوْلِ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ، حديث رقم: ٢٨١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأشربة، بَاب تَغْطِيَةِ الْإِنَاءِ، حديث رقم: ٥٦٢٤.

(٥) سورة يونس: ٨١.

(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور٢٥٦/١١.

والسِّحر إفساد للعقول السليمة فقد سمّى الله – عز وجل – فاعله مفسدًا كما قال : ﴿عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، وذلك لما يترتب عليه من فساد الأسر والتفريق بين الزوجين وخراب البيوت.

٢. إفساد العقول بالمسكرات والمخدرات :

انتشار المخدّرات والمسكرات بين أفراد المجتمعات ينذر بفساد عظيم، فلا يَنعمُ أهله بسلامة العقول، ولا بسلامة الأرواح، ولهذا سمّى النبي ﷺ الخمر . ومثله المخدرات بأنواعها . أم الخبائث، فعن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَادِمًا، فَقَالَتْ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِشَهَادَةٍ، فَدَخَلَ فَطَفِقَتْ كُلَّمَا يَدْخُلُ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ جَالِسَةٍ، وَعِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ فِيهَا خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نَدْعُكَ لِشَهَادَةٍ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ أَوْ تَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَإِنْ أَبَيْتَ صِحْتُ بِكَ وَفَضَحْتُكَ) قَالَ: (فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: اسْقِينِي كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ، فَقَالَ: زِيدِينِي، فَلَمْ يَرَلْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ أَبَدًا، لَيُوشِكَنَّ أَحَدُهُمَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ)[١].

وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)[٢]، وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: (نهى رسول اللَّهِ ﷺ عن كل مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ)[٣]، فالمخدرات أسوأ من المسكرات؛ لأن متعاطيها يهون عليه عرضه وأرضه !

فكم أتلفت المخدرات والمسكرات من أموال؟ وساءت بسببها من أحوال؟ وأهدرت من طاقات؟ وضيّعت من أوقات؟ وكم أدّت من حوادث السيارات وجرائم الاغتصاب والسرقات؟ وكم يتّمت من بنين وبنات، وأثارت من عداوت بين الأهل والقرابات؟ فهل بعد كل هذه المفاسد من حياة مُستقرة أو وطن يُنعم في ظلّه ؟ وقد نقل العلامة ابن حجر الهيتمي ـ رحمه الله .: أن الحشيشة المعروفة حرام كالخمر يحد آكلها أي على قول قال به جماعة من العلماء كما يُحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج أي إفساداً عجيباً حتى يصير في متعاطيها تخنث قبيح ودياثة عجيبة، وغير ذلك من المفاسد فلا يصير له من المروءة شيء البتة، ويشاهد من أحواله خنوثة الطبع وفساده، وانقلابه إلى أشر من طبع النساء، ومن الدِياثة على زوجته وأهله، فضلاً عن الأجانب ما يقضي العاقل منه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه واللفظ له ١٦٨/١٢،حديث برقم: ٥٣٤٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٠٧، حديث برقم: ٥١٩٧ مرفوعاً، وأخرجه وموقوفاً ،حديث رقم: ٥١٩٨ثم قال: وَهُوَ الْمَحْفُوظُ. وأخرجه موقوفاً النسائي في سننه ك: الأشربة، ذِكْرُ الْآثَامِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، مِنْ تَرْكِ الصَّلَوَاتِ، وَمِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَمِنْ وُقُوعٍ عَلَى الْمَحَارِمِ حديث رقم: ٥٦٦٦. والموقوف أصح كما قال الزيلعي. انظر: نصب الراية، ٤/ ٢٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الأشربة، بَاب: بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ، حديث رقم:٢٠٠٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٠٩/٦، وأبو داود في سننه واللفظ له ك: الأشربة، بَاب النَّهْيِ عن الْمُسْكِرِ، حديث رقم: ٣٦٨٧، والحديث حسّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٤٤/١٠.

بالعجب العُجاب، وكذا متعاطي نحو البنج والأفيون وغيرهما مما مرّ قبل البيع والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى الصيال على الغير، وإلى المخاصمة والمقاتلة والبطش، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة [1].

(النوع الرابع : الفساد المتعلق بالنسل(العِرض)

من جملة الفساد المتعلّق بكلية النسل (العِرض) :

١. قطيعة الرحم :

قرَنَ الله تعالى قطع الرحم بالفساد في الأرض؛ لارتباطهما في التغيّر وسلوك مسلك أهل الكفر والضلال، فقال الله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[2]، فأخبر أنهم إن تولوا تولوا عن دينه لم يحصلوا إلا على الفساد في الأرض ، وقطع الارحام[3] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[4]، ولذا قال سبحانه وتعالى بعدها مباشرة: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[5]، وقال جل جلاله:﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ المراد به: صلة الأرحام والقرابات كما فسره قتادة، ورجّحه ابن جرير **الطبري** . رحمه الله .، وقال: والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية الرحم، وقد بين ذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾، وإنما عنى بالرحم أهل الرجل الذين جمعتهم وإياه رحم والدة واحدة، وقطع ذلك ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها وأوجب من برها ووصلها أداء الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجب لها والتعطف عليها بما يحق التعطّف به عليها. وقيل: المراد أعم من ذلك، فكل ما أمر الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه [7].

---

(١) انظر: الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر٨٢٠/٢.
(٢) سورة محمد: ٢٢ .
(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي١٧١/٥.
(٤) سورة البقرة: ٢٧.
(٥) سورة البقرة: ٢٨.
(٦) سورة الرعد: ٢٥ .
(٧)انظر: جامع البيان للطبري١٨٥/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٨٢/١.

٢. فساد العلاقات الاجتماعية :

ممَّا يُفسِد العلاقات الاجتماعية: السعيُ بالنَّميمة بين النَّاس، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ قالوا بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال الَّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى،ثُمَّ قال ألا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بين الأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ)[١]، فإفسادهم بين الأحبَّة بما يسعون به بينهم ببث الفتنة وإيغار الصدور بعضهم على بعض، ، وقد سمَّاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم أيضاً بالعِضَة[٢]، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هل أُنَبِّئُكُمْ ما العضة؟ وَإِنَّ العضة هِيَ النَّمِيمَةُ التي تُفْسِدُ بين الناس)[٣].

ومما يفسد العلاقات الاجتماعية : التهاجر والتشاحن والتدابر :

فقد ألّف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار، فكانت المدينة المنورة حاضنة لهم، يعيشون فيها بسلام وأمان، فلا إحن ولا فِتن، ولا تباغض ولا تهاجر، وهذه صفات المجتمع المسلم: التآزر، والتعاون فيما بينهم، فلم يوجد من يخوض في أعْراض بعضهم البعض، بل لم يجد الخائض طريقاً لبثّ الحقد والكراهيّة فيما بينهم، فكان حياتهم في صلاح وإصلاح؛ لحفظ ألسنتهم من الخوض في الأعراض فطهرت أرواحهم، وعندما كان المسلمون كذلك لم يجد العدو حينئذ ثغرة ينفذُ منها في إيقاع الشحناء، والفُرقة والنزاع بينهم، ولن نجد أنكى في العدو من التلاحم، والتآلف، فعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : (لَا تَبَاغَضُوا ولا تَحَاسَدُوا ولا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ)[٤]، ولمفاسد التباغض والتحاسد الكثيرة، حذّر النبي ﷺ منهما، وشبّه ذلك بالحالقة ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ)[٥] ، وعنِ الزُّبَيْرِ بن الْعَوَّامِ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هي: الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لاَ تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بشيء إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[٦]، وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ: (ألا أُخْبِرُكُمْ

---

(١)أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١٩، وأحمد في مسنده واللفظ له ٤٥٩/٦ ، والطبراني في معجمه الكبير١٦٧/٢٤، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح. مجمع الزوائد٩٣/٨، وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري٣٢٥/٣.

(٢) العَضَهُ : هي الإِفْكُ والبُهْتانُ والنَّمِيمةُ وجمعُ العِضَهِ: عِضاهٌ وعِضاتٌ وعِضُون، وعن الأصمعي :العَضْهُ: القالةُ القبيحة. انظر: لسان العرب ١٣/ ٥١٥ مادة: عضه.

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه ك: البر والصلة والأدب، بَاب تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ ح ٢٦٠٦، والدارمي في مسنده واللفظ له ٣٨٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: الأدب، باب الْهِجْرَةِ وَقَوْلِ النبي ﷺ : (لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ)،ح ٥٧٢٦، ومسلم في صحيحه ك: البر والصلة والأدب، بَاب تَحْرِيمِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ، ح ٢٥٥٩.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ح ٢٥٠٨، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ إِنَّمَا يَعْنِي العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، وَقَوْلُهُ الحَالِقَةُ يَقُولُ: إِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له ١/ ١٦٤ ، والترمذي في سننه أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حديث رقم: ٢٥١٠. والبزار في مسنده ٦/ ١٩٢، والحديث إسناده جيد. انظر: مجمع الزوائد٣٠/٨.

بِأَفْضَلَ من دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قالوا بَلَى، قال: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فإن فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)[1]، ففي الحديث حثٌّ وترغيب على إصلاح العلاقات الاجتماعية واجتناب الفساد فيها؛ لأنَّ الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدِّين، فلا يحصل بين الأسر وفاق ومحبة وترابط، وهو خلاف مقصد النكاح، لذلك سمَّاها النبي ﷺ الحالقة لأنَّها تستأصل أصلَ الدِّين الذي يدعو إلى الصَّلاح والإصلاح، فمن تعاطى إصلاحَ ذات البين ورفعَ فسادِها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائمُ القائم المشتغل بخويصة نفسه[2].

٣. نقض العهد والمواثيق :

نقض العهد والمواثيق، وعدم الوفاء بالعهد من الإفساد في الأرض، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[4].

كثير من الناس اليوم يُقسِمُ الأيمان المغلظة، ويُعطي عهوده بالله، ثم يغدر، سواء كانوا تجاراً أو صناعاً أو قادة، ثم يغدرون إلّا من رحِمَ الله تعالى ، وهذا يجعل الإنسان عُرضة للخوض في عِرضه؛ لنقضه لوعوده وعهوده، بل بعض الحكومات تَعِدُ شُعوبها وتتعهّد لها بتحقيق الرفاهية، والعيش الرغيد، والعمل على مصلحة الوطن والأمة والدِّين، ثم تراها تنكص على أعقابها، ولا تحقّق من وعودها إلا النزر اليسير، وتتفلّت من عهودها من خلال الحرص على تحقيق مصالح شخصية، ولو كانت على حساب مصالح شعوبها، ونقض العهود بين الأفراد والجماعات والدول يؤدي إلى عدم الاستقرار في البلد الذي يعيش على نقض المواثيق، فلا يطمئن طرف مع طرف آخر، فتجري الحياة على فساد بين الأطراف، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن عاقبة نقض العهود والمواثيق: الهلاك والقتل، وهذا عين الفساد، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص١٤٢ ، وأحمد في مسنده ٦/ ٤٤٤ ، والترمذي في سننه ك: كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ح ٢٥٠٩ ، وقال: حديث صحيح.
(٢)انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري١٤/٢٩٧.
(٣) سورة البقرة: ٢٧.
(٤) سورة الرعد: ٢٥ .

ظَهَرَتْ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ قَطُّ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ)[1].

٤. فاحشة قوم لوط والزنا :

من أفعال المفسدين الجري وراء شهواتهم ونزواتهم ، فتنتشر رذيلة اللواط والزنا بين القوم المفسدين، فهؤلاء سمّاهم الله تعالى : القوم المفسدين؛ لأن هذه الفاحشة بنوعيها تُلوّث الأعراض، قال الله تعالى مُخبرا عن نبيِّه لوط . عليه السلام . ودعائه على قومه: قال الله تبارك وتعالى على لسان لوط:﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[2].

ولـمَّا يئس من استجابتهم :﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، بعد أن أنكر عليهم سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذُّكران من العَالَمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفِعْلة أحدٌ من بني آدم قبلهم، مع كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله ﷺ، وعملهم للمُنكَرات.

فانتشار الفواحش تُعد ضرراً على النفوس بضياع الأنساب، والخروج عن الفطرة، والوقوع في الأمراض التي أعيت الأطباء ، والوقوع في عذاب الله وغضبه، وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفواحش، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) [4]، وعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال: (يا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، ....الحديث)[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير١١/ ٤٥، والحاكم في مستدركه واللفظ له ١٣٦/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والبيهقي في شعب الإيمان٣/ ١٩٦، وفي سننه الكبرى٣/ ٣٤٦، والحديث حسنه جماعة كالمنذري وابن حجر وغيرهما، وقال المنذري: رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد. المنذري، الترغيب والترهيب٣١٠/١، وانظر: والهيثمي، مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٩،وابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩/ ٤٥١.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٨ - ٢٩ .

(٣) سورة العنكبوت: ٣٠ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك٤٣/٢ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه واللفظ له ك: الفتن، باب: العقوبات، حديث رقم: ٤٠١٩،والحاكم في مستدركه ٥٨٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . والطبراني في معجمه الكبير ٤٥/١١، والأوسط٦٢/٥، قال البوصيري : هذا حديث صالح للعمل به. مصباح الزجاجة١٨٦/٤، وقال ابن عبد البر بعد ذكره للحديث : حَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ وَكُلُّهَا تَقْضِي الْقَوْلَ بِهَا وَالْمُشَاهَدَةَ بِصِحَّتِهَا .الاستذكار٩٤/٥، وقد ذكر الحافظ السخاوي طرقاً للحديث وحكم بحُسنه . انظر: السخاوي، الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، ٣/ ١١٦٩.

٥. عنوسة النِّساء وقِلَّة العِفَّة في الرِّجَال :

من مظاهر وأنواع الفساد المتعلّق بالنسل والعِرض، الإعراض عن تزويج أهل الدِّين والخُلق وإن لم يكن لهم مال أو جاه، فهذا يُؤذن بظهور العُنوسة في النساء، وقد يكون ذلك مع كثرة الفتن وقلّة الورع والخوف من الله تعالى: الوقوع في فساد تلويث الأعراض، وضياع الأنساب، وظهور أولاد الزنا وغير ذلك من المفاسد، فعن أبي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (إذا جَاءَكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ وإن كان فيه، قال: إذا جَاءَكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، وفي رواية :(وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) [(١)]، ويرشد الحديث: إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنى، وربما يلحق الأولياء عارٌ، فتهيج الفتن والفساد في المجتمع، ويترتّب عليه قطع النسب، وقلة الصلاح والعِفّة [(٢)].

النوع الخامس: الفساد المتعلق بالمال

من جملة الفساد المتعلّق بكلية المال :

١. السَّرِقة :

التعدي على الأموال الخاصّة والعامّة: سواء بسرقة منه أو بإتلافه، يُعدُّ من الإفساد في الأرض، قال الله تعالى عن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾[(٣)]، فقد أكَّد إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ براءتهم من السرقة بالقَسَم، واستشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم من السرقة؛ لما عَرَفُوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك، وقد نَفَوا عن أنفسهم الاتّصاف بالسرقة بأبلغ ممَّا نَفَوا به الإفساد عنهم، وذلك بنفي الكون سارقين دون أن يقولوا : وما جئنا لنَسْرِق(٤).

---

(١)أخرجه الترمذي في سننه ك:النكاح، باب ما جاء إذاجاء كم من تَرْضَوْنَ دينة فَزَوِّجُوهُ ح ١٠٨٥، ورواية : (عريض) ح ١٠٨٤ ، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وأبو حَاتِمٍ الْمُزَنِيُّ له صحبه ولا نَعْرِفُ له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث. وقال المباركفوري: في سنده عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضَعيف إلا أنه قد تأيد بحديث أبي هريرة المذكور قبله. تحفة الأحوذي١٧٣/٤.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٤/ ١٧٣.

(٣) سورة يوسف: ٧٣ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور٢٩/١٣.

قال العلامة **الرازي** . رحمه الله . : قال المفسرون : حلفوا على أمرين : أحدهما : على أنهم ما جاءوا لأجل الفساد في الأرض لأنه ظهر من أحواله امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالكلية لا بالأكل ولا بإرسال الدواب في مزارع الناس ، حتى روي أنهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم لئلا تعبث في زرع ، وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ، ومن كانت هذه صفته فالفساد في الأرض لا يليق به . والثاني : أنهم ما كانوا سارقين ، وقد حصل لهم فيه شاهداً قاطع ، وهو أنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر ولم يستحلّوا أخذها، والسارق لا يفعل ذلك البتة، ثم لما بيّنوا براءتهم عن تلك التّهمة، قال أصحاب يوسف عليه السلام : ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)، (٢).

٢. غسيل الأموال :

غسيل الأموال يُعدُّ من الإفساد بالأموال، والحصول عليها من مصادر محرّمة، ومنها: أخذها من المال العام، ويُعد غسيل الأموال من الاصطلاحات المعاصرة، وهو : إضفاء صفة القبول قانونيا لأموال متحصّلة من طرق ممنوعة قانونيا، ومُحرمة شرعا كالأموال المتحصّلة من التجارة في الأسلحة غير المرخصة، والمخدرات، والأرباح الربوية، والاختلاس، عن طريق توظيفها في الأعمال التجارية الجائزة قانونيا، أو خلطها بأموال أخرى حلال؛ لمحاولة إخفاء المصدر الحقيقي لها؛ خروجاً من المساءلة القانونية، أو بالقيام بتهريبها خارج الوطن ممّا يسبب أزمة اقتصادية بالوطن، فكل ما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشريعة – وإن طابت نفس مالكه به – كمهر البغيّ أو حلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير، فهو محرّم يدخل ضمن ذلك، ويسبب في ظهور الأزمات في البلد، ولا يخفى أن الكسب الخبيث لا يبقي ولا يذر، وعاقبته على البلدان والأوطان الخراب والمحق، ودليل تحريمه حديث عن أبي مَسْعُودٍ ﷺ قال : (نهى النبي ﷺ عن ثَمَنِ الْكَلْبِ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ)(٣) ، وعن عمرﷺ أن النبي ﷺ قال: (قَاتَلَ الله الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا) (٤).

---

(١) سورة يوسف: ٧٤ – ٧٥.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي١٤/١٤٤.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد، ح ٥٠٣١.

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه، ح ٢١١٠.

٣. أكل أموال اليتامى ظلماً:

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ تهديد بليغ، بشمول علمه تعالى المطلق بما دقَّ وجلَّ، فليتق الله الأولياء أن يخالطوا أموال اليتامى وهم يقصدون أكل أموالهم بالباطل، ويجعلون مخالطتهم إيّاهم ذريعة إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حقها؛ فيستوجبوا بذلك منه العقوبة التي لا قبل لهم بها؛ فإنه تعالى يعلم من خالط منهم يتيمه، فشاركه في مطعمه ومشربه ومسكنه وخدمه ورعاته في حال مخالطته إياه، ما الذي يقصد بمخالطته إيّاه إفساد ماله، وأكله بالباطل، أم إصلاحه وتثميره؛ لأنه لا يخفى عليه منه شيء، ويعلم أيهم المريد إصلاح ماله من المريد إفساده[٢].

قال العلامة **ابن عاشور** . رحمه الله . : وقوله: والله يعلم المفسد من المصلح وعد ووعيد؛ لأن المقصود من الإخبار بعلم الله الإخبار بترتب آثار العلم عليه، وفي هذا إشارة إلى أن ما فعله بعض المسلمين من تجنب التصرف في أموال اليتامى تنزه لا طائل تحته؛ لأن الله يعلم المتصرف بصلاح والمتصرف بغير صلاح وفيه أيضا ترضية لولاة الأيتام فيما ينالهم من كراهية بعض محاجيرهم وضربهم على أيديهم في التصرف المالي وما يلاقون في ذلك من الخصاصة، فإن المقصد الأعظم هو إرضاء الله تعالى لا إرضاء المخلوقات، وكان المسلمون يومئذ لا يهتمون إلا بمرضاة الله تعالى، وكانوا يحاسبون أنفسهم على مقاصدهم، وفي هذه إشارة إلى أنه ليس من المصلحة أن يعرض الناس عن النظر في أموال اليتامى اتقاء لألسنة السوء، وتهمة الظن بالإثم فلو تمالأ الناس على ذلك وقاية لأعراضهم لضاعت اليتامى، وليس هذا من شأن المسلمين؛ فإن على الصلاح والفساد دلائل ووراء المتصرفين عدالة القضاة، وولاة الأمور يجازون المصلح بالثناء والحمد العلن، ويجازون المفسد بالبعد بينه وبين اليتامى وبالتغريم بما أفاته بدون نظر[٣].

٤. الظُّلم والجَور والتَّفريط بالحقوق:

ظلم العباد والاستحواذ على أموالهم بغير حقٍّ شرعي إفساد وطغيان ، وحقوق الخلق مَبنية على المشاحّة والمشادّة، ولهذا ذمّ الله تعالى من طغى وتجبّر، ونسب إليه الكثرة في الفساد؛ لخطورة حقوق

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٠ .

(٢)انظر: جامع البيان للطبري٢/٣٧٤.

(٣)التحرير والتنوير ٢/٣٥٨.

الناس، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴾[1] ،﴿ طَغَوۡاْ ﴾ أي: تمرَّدُوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظُّلم والعُدوان،﴿ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴾ أي: الجور والأذى وإضاعة حقوق النَّاس، قال العلامة ابن عاشور . رحمه الله .: والطغيان شدّة العصيان والظلم، ومعنى طغيانهم في البلاد أن كل أمة من هؤلاء طغوا في بلدهم، ولما كان بلدهم من جملة البلاد أي أرضي الأقوام كان طغيانهم في بلدهم قد أوقع الطغيان في البلاد؛ لأن فساد البعض آئل إلى فساد الجميع بسن سُنن السُوء، ولذلك تسبّب عليه ما فرع عنه من قوله: فأكثروا فيها الفساد؛ لأن الطغيان يُجرىءُ صاحبه على دحض حقوق الناس فهو من جهة يكون قدوة سوء لأمثاله وملئه، فكل واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم؛ لأن به اختلال الشرائع الإلهيّة، والقوانين الوضعية الصالحة وهو من جهة أخرى يثير الحفائظ والضغائن في المطْغيِّ عليه من الرعيّة، فيضمرون السوء للطاغين، وتنطوي نفوسهم على كراهية ولاة الأمور وتربص الدوائر بها فيكونون لها أعداء غير مخلصي الضمائر، ويكون رجال الدولة متوجسين منهم خيفة فيظنون بهم السوء في كل حال ويحذرونهم فتتوزع قوة الأمة على أفرادها عوض أن تتحد على أعدائها، فتصبح للأمة أعداء في الخارج وأعداء في الداخل، وذلك يفضي إلى فساد عظيم، فلا جرم كان الطغيان سببا لكثرة الفساد[2].

٥. بخس الموازين والتطفيف :

بخس الموازين والتطفيف بالكيل إفساد، قال الله تبارك وتعالى على لسان شعيب:﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾[3].

والتطفيفُ وبخس الناس أشيائهم غشٌ لصاحبهِ مُذِلٌ، بلَ سرقةٌ تجاريةٌ لا تَحِلّ؛ فإنهما وأمثالهما منَ المعاملاتِ المنحرِفَة تَميلُ بمزاوِلِيها إلى سبيلِ الإثم والفشل، كما أنّ الوطن الآمن يظلُّ بوجودِهَا في ضَرَرٍ وخوف مستمر؛ نظراً لاستنزالِها النِّقم . والعياذ بالله تعالى . من القحط وشِدَّةِ الْمَئُونَة، وجَوْرِ السُّلْطَان عليهم وبطشه، فعن عبد اللَّهِ بن عُمَر رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ ﷺ فقال: (يا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها

([1]) سورة الفجر: ١١ – ١٢.

([2])التحرير والتنوير ٣٠/٣٢١.

([3]) سورة الأعراف: ٨٥.

إلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عليهم، ولم يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ من السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لم يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إلا سَلَّطَ الله عليهم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ ما في أَيْدِيهِمْ وما لم تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إلا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)[1].

٦- الإسراف في المال وغيره :

الإسراف ومجاوزة الحدِّ في المال وغيره كالغي والتمادي في المعاصي يُعدُّ إفساداً، قال الله تبارك وتعالى على لسان موسى . عليه الصلاة والسلام .: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ من جملة ما قيل لهم، ووجه النهي عنه أن النعمة قد تُنسي العبد حاجته إلى الخالق، فيهجر الشريعة، فيقع في الفساد، قال تعالى: ﴿ كَلَآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾[3]، [4].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾[5]، والإسراف: الإفراط في شيء، والمراد به هنا: الإسراف المذموم كله في المال وفي الكفر، ووصفهم بأنهم يفسدون في الأرض، فالإسراف منوط بالفساد، فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ ؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه واللفظ له ك: الفتن، باب: العقوبات، ح ٤٠١٩، والحاكم في مستدركه ٥٨٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . والطبراني في معجمه الكبير ٤٥/١١، والأوسط٦٢/٥، قال البوصيري : هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلف في ابن أبي مالك وأبيه، فأما الولد فاسمه: خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقي، فوثقه أبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي، وأحمد بن صالح المصري، وضعفه أحمد وابن معين والنسائي والدارقطني، وأما أبوه فهو قاضي دمشق، وكان من أشمة التابعين، وثقه ابن معين، وأبو زرعة الرازي، وابن حبان، والدارقطني، والبرقاني، وقال يعقوب بن سفيان : في حديثهما لين يعني خالد وأبوه، ووراه البزار والبيهقي من هذا الوجه ورواه الحاكم بنحوه من حديث بريدة، وقال: صحيح الإسناد ورواه مالك بنحوه موقوفاً على ابن عباس، ورفعه الطبراني وغيره إلى النبي ﷺ. مصباح الزجاجة١٨٦/٤، وقال ابن عبد البر بعد ذكره للحديث : حَدِيثُ مَالِكٍ أَتَمُّ وَكُلُّهَا تَقْضِي الْقَوْلَ بِهَا وَالْمُشَاهَدَةَ بِصِحَّتِهَا .الاستذكار٩٤/٥، وقد ذكر الحافظ السخاوي طرقاً للحديث وحكم بحُسنه . انظر: السخاوي، الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، ٣/ ١١٦٩.

(٢) سورة البقرة: ٦٠ .

(٣) سورة العلق: ٦ – ٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥١٩.

(٥) سورة الشعراء: ١٥١ – ١٥٢ .

جوابه : فائدته بيان أن فسادهم فساد خالص ليس معه شيء من الصلاح،كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح [1].

وقال الله تعالى حاكياً عن قارون الذي اتخذ من ماله طريقاً للفساد والاغترار بنفسه :﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2] .

وقد عطف لا تبغ الفساد في الأرض؛ للتحذير من خلط الإحسان بالفساد؛ فإن الفساد ضد الإحسان، فالأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الفساد [3].

المبحث الثالث

أسباب الفساد وعلاجه الفساد

أولاً: أسباب الفساد

للفساد أسباب كثيرة ومتعددة الاتجاهات حسب فساد كل نوع، وموضوعه، وجوهره ، ولعلَّ من أهم هذه الأسباب لجملة من المفاسد: ضعف الوازع الديني، من خلال عدم استشعار مراقبة الله تعالى، وعدم القيام بدور التربية الصالحة على مستوى الأُسر والمدارس، وانتشار البطالة والفقر والجهل، ويجمع هذه الأسباب سبب واحد وهو حب الدنيا والحرص عليها، وما فيها من مال أو جاه وشرف ونحوها ، ولهذا مثّل رسولنا الكريم ﷺ لخطر حب الدنيا والحرص عليها بتمثيل فريد عجيب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما ذئبان ضَاريان جائعان بَاتا في زريبة غنم، أغفلها أهلها يَفترسان ويَأكلان بأسرع فيها فساداً من: حُب المالِ، والشرف في دِين المرءِ المسلم**) [4] .

([1]) انظر: التفسير الكبير للرازي٢٤/١٣٧، والتحرير والتنوير١٩/ ١٧٦.

([2]) سورة القصص: ٧٦ – ٧٧.

([3]) انظر: التحرير والتنوير٢٠/ ١٨٠.

([4]) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط واللفظ له ٢/ ٢٣٦، وأبو يعلي في مسنده ١١/ ٣٣١، قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبدالملك زنجويه وعبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثقا. مجمع الزوائد١٠/ ٢٥٠،وقال المنذري: رواه الطبراني واللفظ له وأبو يعلى بنحوه وإسنادهما جيد. الترغيب والترهيب٤/ ٨٥، والحديث

قال العلامة **ابن رجب** الحنبلي . رحمه الله . : (فهذا مثل عظيم جداً، ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدِّين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها . ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقلَّ من إفساد الذئبين لهذا الغنم) [1].

وسبب وجود الداء العُضال وأساس الفساد، والذي هو حُب الدنيا والحِرص عليها، والذي كان السِّر في فساد المجتمعات الإسلامية نتج بأمرين اثنين:

الأمر الأول : إما أن يغيب في ذلك المجتمع واجب الأمر بالمعروف كالنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

الأمر الثاني: وإما أن يشيع فيهم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنه لا يصادف آذاناً مصغية ولا نفوساً متقبلة، وإنما يواجه بنفوس متمرّدة وآذان تُصم نفسها عن سماع الحق، والشاهد على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، أي المجتمع الذي يشيع فيه هذا الواجب وتنتشر فيه هذه المسؤولية هو المجتمع الذي يتصف بالفلاح والرشد، وإذا غاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا شك أن هذا المجتمع ينحرف عن طريق الفلاح ويقع في وحَلِ الفساد .

وأما الشاهد على السبب الثاني ففي قول الله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[4]، فالقران يصرّح أن مرد فساد المجتمعات يكمن في هذين المرضين : اختفاء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإما لا تختفي ولكن لا تصادف هذه المسؤولية آذاناً صاغية، بل يصطدمان بنفوس قد أخذتها العزة بالإثم [5].

أخرجه الترمذي بلفظ : (ما ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لها من حِرْصِ الْمَرْءِ على الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) في سننه ك:الزهد ح ٢٣٧٦، وقال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي١/ ٦٤.

(٢) سورة المائدة: ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران: ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦ .

(٥) انظر: موسوعة الخطب المنبرية للبوطي ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨.

ثانياً علاج الفساد

تميزت الشريعة الغراء عن سائر التشريعات الوضعية، والأنظمة القانونية ، والتي هي من أفكار وتجارب البشر ، بأنها من عند الله تعالى اللطيف الخبير، الخالق لكل مخلوق في الوجود ، فهو تعالى عالم بما يفسد خلقه ، وعالم بما يُصلحهم ، ويُبعدهم من مهاوي الفساد ومستنقع الإفساد ، فمهما بلغت القوانين الوضعيّة ذروتها في الدِّقة ، ومهما قُنّنت وأتقنت فهي عرضة للخرق والتملّص ، فإن الذي وضعها هو إنسان من البشر، فكذلك الذي يستطيع التفلّت منها بقدراته وحكمته وعقله أن يفعل ذلك ؛ لأن المقنن لها هو إنسان مثله ! وهذه الحقيقة لا يستطيع إنكارها أحد .

فالوسيلة التي بها يزول الفساد من واقع المجتمعات هي: وسيلة مراقبة الله عزّ وجل بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، بحيث يُغْرَس الإيمان بالله تعالى في قلوب الناس، وتتقبله عقولهم بقناعة يقينية؛ حتى يقوى هذا الإيمان، ويشتد عُوده إلى أن يُهيمن على مَكمَنِ الوجدان في النفس والقلب، يأتي بعد ذلك دَور رقابةِ الإله سبحانه وتعالى.

وغرسُ مراقبة الله تعالى في قلوب الناس من مهامِّ ودور المصلحين في كل زمن ؛ إذ لا نبي بعد سيدنا رسول الله ﷺ ، وقد رغّب الرسول ﷺ بفضل المصلحين، وسمّاهم الغُرباء، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) [1]، وفي رواية : (إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ **ما أَفْسَدَ الناس من بَعْدِي من سُنَّتِي**)[2].

فاستشعار مراقبة الله تعالى في كل لحظةٍ وخطْرةٍ هو العلاج . الفريد الجامع لكلِّ علاج فرعي وثانوي . لاجتثاث الفساد بكل أنواعه من المجتمع، فالمؤمن الحقّ عندما يقرأ ويتأمّل كلام الله عز وجل القائل:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3]، وقوله تعالى :﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وإنه يَأْرِزُ بين الْمَسْجِدَيْنِ ح١٤٥.

(2) سنن الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، بَاب ما جاء أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا ح ٢٦٣٠ ، وقال: حديث حسن صحيح.

(3) سورة الحديد: ٤ .

بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[1]، ويقرأ ويتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾[2]، فهذا الإنسان الذي آمن بالله تعالى أولاً، وغُذِّي إيمانه بماء التربية الصالحة والتنشئة الصحيحة ثانياً، حتى هيمن إيمان العقلاني على مكمن الوجدان في قلبه، ثم قرأ هذه الآيات، وعلِم أنه مُراقَب من قِبَل الله عزّ وجل، فهل يستطيع بعد ذلك أن يقع في الفساد أو الإفساد ، أو يكون سبباً لبث الفساد بين الناس ، أو يستطيع أن يتحايل على النظم المتّبعة في الدولة الإسلامية بل النظم والقوانين في أيّ دولة ؟

فالدواء الناجع، والعلاج النافع، هو: غرسُ مراقبة الله تعالى، وهذا العلاج ينطق به التاريخ، وينطق به أصحاب رسول الله ﷺ الذين غذوا بمراقبة الله تعالى، مُنذ أن أسلموا واستسلموا لهُدى الله ، وتغلّغلت محبة الله تعالى ورسوله ﷺ في قلوبهم وآمنوا حقاً وصدقاً لا دعوى وتسلّقاً، ما الذي صيّرهم بعد أن كانوا مظهراً للفساد والإفساد إلى رُقباء للصلاح والإصلاح؟ إنها المراقبة ؛ مراقبة الله سبحانه وتعالى.

نماذج من التاريخ يبرهن على أهمية مراقبة الله تعالى

١. أبو بكر الصديق ﷺ

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : (كان لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ له الْخَرَاجَ[3]، وكان أبو بَكْرٍﷺ يَأْكُلُ من خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ منه أبو بَكْرٍ، فقال له الْغُلَامُ: تدري ما هذا؟ فقال أبو بَكْرٍ: وما هو؟ قال: كنتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ في الْجَاهِلِيَّةِ وما أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إلا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا الذي أَكَلْتَ منه، فَأَدْخَلَ أبو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ في بَطْنِهِ)[4]، قال الإمام الغزالي . رحمه الله . : أفترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب اللبن، وعلم أنه على غير وجهه أدخل إصبعه في حلقه؛ ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه! ما علم من الفقه هذا القدر؟ وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به، ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه ؟ فلِم تاب عن شرابه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه؟ وهل كان ذلك إلّا لسرٍّ وقَرَ في صدره، عرَّفه ذلك السّر أن فتوى العامة حديث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون، فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله، وبطريق

---

(١) سورة الرعد: ١٠ .
(٢) سورة ق: ١٦ .
(٣)الخراج : شيء يجعله السيد على عبده يؤديه للسيد كل يوم ، وباقي كسبه يكون للعبد.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، باب: أيام الجاهلية ح ٣٦٢٩.

الله، وبمكر الله، وبمكامن الغرور بالله، وإيّاك مرة واحدة أن تغرّك الحياة الدنيا، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور، فهذه أسرار من استنشق مبادئ روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه ولو عُمّر عُمر نوح ـ عليه السلام ـ ، وأن ذلك واجب على الفور من غير مُهلة[١] .

٢. عمر بن الخطاب ﷺ

عن مولى لعثمان بن عفان ﷺ قال : بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف إذ رأى رجلا يسوق بَكْرين ـ الفتيٌّ من الأبل ـ وعلى الأرض مثل الفراش من الحرِّ، فقال ما على هذا لو قام بالمدينة حتى يُبْرِد، ثم يروح ثم دنا الرجل، فقال: أنظر من هذا؟ فنظرتُ فقلتُ: أرى رجلاً مُعمّماً بردائه، يسوق بكْرين، ثم دنا الرجل، فقال: أنظر فنظرتُ، فإذا عمر بن الخطاب، فقلتُ: هذا أمير المؤمنين، فقام عثمان، فأخرج رأسه من الباب، فأذاه نفحُ السموم، فعاد رأسه حتى حاذاه ، فقال: ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مُضي بإبل الصدقة، فأردتُ أن ألحقها بالحِمى وخشيتُ أن يضيعا، فيسألني الله عنهما، فقال عثمان: هلّم يا أمير المؤمنين إلى الماء والظل، ونكفيك، فقال: عُد إلى ظلك، فقلتُ: عندنا من يكفيك، فقال: عُد إلى ظلك ومضى، فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا فعاد إلينا فألقى نفسه)[٢].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لو ماتتْ شاة على شط الفرات ضائعة؛ لظننتُ أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة [٣]، وهذا شيء مَهيبٌ وموقفٌ لا يملك الإنسان أمامه إلا الإكْبار والتعظيم لهذا الدين الذي ربّى في أتباعه مثل هذا الخلق السامي النبيل !كيف لا، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾[٤]، بل إنهم يسبحون الله تعالى كما نسبح لقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين ١١٥/٣.
(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ٣٩٠.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٩٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء واللفظ له ٥٣/١ .
(٤) سورة الأنعام: ٣٨.
(٥) سورة الإسراء: ٤٤ .

٣. عثمان بن عفان ﷺ

عن عبدالملك بن شدّاد بن الهاد قال رأيتُ عثمان بن عفان ﷺ يوم الجمعة على المنبر، عليه إزار عَدَني . من بلدة عدن باليمن . غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم ورَيطة . ثوب رقيق ليّن . كوفية مُمشّقة . مصبوغة ..

وعن يونس بن عبيد أن الحسن سُئل عن القائلين . لنائمين وقت القيلولة . في المسجد، فقال: رأيتُ عثمان بن عفان ﷺ يُقيل في المسجد، وهو يومئذ خليفة.

وقال عثمان ﷺ : لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما يُؤمر بي لاخترتُ أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان ﷺ إذا وقف على قبرٍ بَكى حتى يبلَّ لحيته [١].

٤. علي بن أبي طالب ﷺ

وثبت عن علي ﷺ أنه لم يأكل بعد قتل عثمان، ونَهب الدار طعاماً إلا مختُوماً حذراً من الشبهة[٢].

قال مجمع التيمي . رحمه الله .:كان علي ﷺ يكنس بيت المال، ويُصلي فيه يتخذه مسجداً؛ رجاء أن يشهد له يوم القيامة[٣].

وعن هارون بن عنترة عن أبيه، قال: دخلتُ على علي بن أبي طالب ﷺ بالخورنق، وهو يرعدُ، تحت سمل قطيفة! فقلتُ: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: والله ما أرزأكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجتُ بها من منزلي أو قال: من المدينة [٤].

---

(١) أخرج هذه الأخبار أبو نعيم بسنده في حلية الأولياء ١/ ٦٠ .
(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٩١/٢ .
(٣) أخرجه وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٨١.
(٤) أخرجه وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٨٢.

٤. عبد الله بن عمر ﷺ

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ، وَوَضَعُوا سَفْرَةً لَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، قَالَ: فَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: " هَلُمَّ يَا رَاعِي، هَلُمَّ "، فَأَصِبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: " أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدٍ سُمُومُهُ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرْعَى هَذَا الْغَنَمَ؟ " فَقَالَ لَهُ: أَيْ وَاللهِ أُبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ: " فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ؟ " فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: " فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلًا إِذَا فَقَدَهَا، فَقُلْتَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ " فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ اللهُ، قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللهُ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلَاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَ، وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ) [(١)].

الحفاظ على الكليات الخمس عن طريق أمرين:

الأول: عن طريق إقامة أركانها وتثبيت قواعدها، بأن حرِصَ عليها أن توجد كإقامة الصلاة، ومشروعية البيوع والنكاح.

الثاني: عن طريق ما يُدْرأُ عنها الاختلال الواقع أو المتوقّع فيها، وذلك بترك ما به تنعدم؛ ولذا شُرعت العقوبات كالحدود والضمان، ويشمل الأمرين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [(٢)].

قال **الغزالي** ـ رحمه الله ـ : (وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رُتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح ومثاله : قضاء الشرع بقتل الكافر المضِل، وعقوبة المبتدع الدّاعي إلى بدعته، فإنّ هذا يُفوّت على الخلق دينهم، وقضاؤه بإيجاب القصاص أدَبُه حفظ النفوس، وإيجاب حدِّ الشرب؛ إذ به حفظ العقول التي هي مِلاَك التكليف، وإيجاب حدِّ الزنا؛ إذ به حفظ النّسل والأنساب، وإيجاب زجر الغُصّاب والسُّرّاق؛ إذ به يحصل حفظ الأموال التي هي معاش الخلق، وهم مُضطرُّون إليها... ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر)[(٣)].

والفساد بشتى أنواعه وصوره شامل لكليات الدين الخمس من: دين ونفس وعقل ونسل (عِرْض) ومال، من حيث تفويتها أو الإخلال بها وذلك يعدُّ إفساد لها، وهذا من جانب العدم، فلا بد من الاحتياط واتباع ما يُدْرأُ عنها الاختلال الواقع أو المتوقّع فيها، وذلك بترك ما به تنعدم من مفسدات ،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٢٣/٧ .
(٢) انظر: الشاطبي، الموافقات، ٣٢٤/٢.
(٣) الغزالي، المستصفى،١٧٥.

ولهذا شُرعت العقوبات كالحدود والضمان، ورُتّب على صاحبها الوزر والإثم العظيم.

دعانا الإسلام إلى محاربة الفساد ومواجهته، وعدم السّكوت عنه أو تبريره، فالتصدي له فيه نجاة للمجتمع كله، وإهماله وعدم التصدي له فيه الهلكة للمجتمع كله فإن البلاء إذا نزل يعم الصالح والطالح، فعن النُّعْمَانَ بن بَشِيرٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعا وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جميعا) [1].

ويذكر القرآن العظيم أن الأمم السالفة لَمَّا فقدت الإصلاح، ورفضت المصلحين، ونشرت الفساد وقربت المفسدين، عاقبهم الله رب العالمين بأن سلّط عليهم آلام الهلاك، وسُوء العذاب بما كسبت أيديهم، قال أحكم الحاكمين: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [2].

وها هو الرسول ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في الإصلاح، ومحاربة الفساد، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: قالت: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فيها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عليه إلا أُسَامَةُ بن زَيْدٍ حِبُّ رسول اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قام فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قال إنما أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ فيهم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وإذا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليه الْحَدَّ، وأيم اللَّهِ لو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) [3].

وقد قال رسول اللَّهِ ﷺ: (إن اللَّهَ لا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حتى تَعْمَلَ الْخَاصَّةُ بِعَمَلٍ تَقْدِرُ الْعَامَّةُ ان تُغَيِّرَهُ وَلا تُغَيِّرُهُ فَذَاكَ حين يَأْذَنُ اللَّهُ في هَلاكِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ) [4] .

وعن حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ ﷺ عن النبي ﷺ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ أو لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا منه ثُمَّ تَدْعُونَهُ فلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) [5].

وعن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ ما دخل النَّقْصُ على بَنِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك:الشركة، بَاب هل يُقْرَعُ في الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فيه ح ٢٣٦١.

(٢) سورة هود: ١١٦ - ١١٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك:الأنبياء، بَاب حديث الغار ح ٣٢٨٨.

(٤)أخرجه أحمد في مسنده٢٩/ ٢٥٨،والطبراني في معجمه الكبير١٧/ ١٣٨،وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد٧/ ٢٦٨.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ك: الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وقال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ. ح ٢١٦٩.

إِسْرَائِيلَ كان الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فيقول يا هذا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ ما تَصْنَعُ فإنه لَا يَحِلُّ لك ثُمَّ يَلْقَاهُ من الْغَدِ فلا يَمْنَعُهُ ذلك أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فلما فَعَلُوا ذلك ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قال ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1] إلى قَوْلِهِ { فَاسِقُونَ }، ثُمَّ قال: كَلَّا، والله لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ على يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ على الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ على الْحَقِّ قَصْرًا) [2] .

ولكن إزالة المنكرات وإقامة الحدود الشرعية لا يكون إلّا لمن ثبت بالبرهان والحجّة على مَنْ وقع في شيء منها وإلّا لأنقلب المعروف منكراً ، فلذا حكى لنا التاريخ قصة نستفيد منها عبرة وعظة في التعامل مع إزالة الفساد وإنكار المنكر :

قال الحافظ **أبو شامة** المقدسي . رحمه الله . ت(٦٦٥هـ): (وسمعتُ قاضي القضاة بهاء الدين أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال: كان نور الدين . وهو :السلطان العادل للدولة النورية أبو القاسم محمود زنكي . ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر الملاء شيئاً يفطر عليه، فكان ينفذ إليه الأكياس فيها الفتيت والرُّقَاق[3] وغير ذلك، فكان نور الدين يفطر عليه، و كان إذا قدم الموصل لا يأكل إلّا من طعام الشيخ عمر المِلاّء . قال: وكان نور الدين لما صارت له الموصل قد أمر نائبه . كمشتكين شحنة الموصل: ألّا يعمل شيئاً إلا بالشرع إذا أمره القاضي به، وألا يعمل القاضي والنواب كلهم شيئا إلا بأمر الشيخ عمر المِلاّء ، قال: فكان لا يعمل بالسياسة، وبطلت الشحنكية [4]

فجاء أكابر الدولة و قالوا لكمشتكين . النائب .: قد كثر الدُّعَّار[5]، وأرباب الفساد، ولا يجيء من هذا شيء إلّا بالقتل والصلب، فلو كتبتَ إلى نور الدين، وقلت له في ذلك ، فقال: لهم أنا لا أكتب إليه في هذا المعنى، ولا أجسر على ذلك، فقولوا للشيخ عمر: يكتب إليه ، فحضروا عنده، و ذكروا له ذلك، فكتب إلى نور الدين، وقال له: إن الدُّعَّار والمفسدين و قطاع الطريق قد كثروا ، ويحتاج إلى نوع سياسة، فمثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب، وإذا أُخذ مال إنسان في البرِّية من يشهد له؟! قال: فقلب نور الدين كتابه، وكتب على ظهره: إن الله تعالى خلق الخلق، وهو أعلم بمصلحتهم، وشرع

---

(١) سورة المائدة: ٧٨ – ٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ك: تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة ، وقال: حسن غريب، ح ٣٠٤٧، أبوداود في سننه ك: الملاحم، باب: الأمر والنهي ح ٤٣٣٦.

(٣) الفتيت والرقاق : من أنواع الخبز، والأول ما فُتّ من الخبز وتكسر، والثاني: الخبز المنبسط الرقيق.

(٤) الشحنكية: طائفة من المحاربين مهمتهم حراسة البلد ومنشآتها، يرأسهم الشِّحنة ؛ أي: رئيس الشرطة .

(٥) الدُّعَّار: جمع داعر: وهو المفسد في الأرض بتمرده وعدم قبوله للموعظة.

لهم شريعة، وهو أعلم بما يصلحهم، وإن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها، ولو علِم أن على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعه، فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى، قال: فجمع الشيخ عمر المِلاء أهل الموصل، وأقرأَهم الكتاب، وقال: انظروا في كتاب الزاهد إلى الملك، وكتاب الملك إلى الزاهد)[1].

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولاً : النتائج

١. الشريعة الإسلامية، جاءت لإصلاح البشرية جمعاء وإبعادها عمّا يفسدها وما يضرها.

٢. عرّف أصحاب كلِّ فنٍّ وعلم الفساد وُفْق موضوعات علمهم وتخصّصهم واهتماماتهم ، والفساد الذي حذرت منه الشريعة الإسلامية: كلُّ ما نهى الله تعالى عنه اعتقاداً أو عملاً . قولاً وفعلاً . إمّا على سبيل التحريم أو على سبيل الكراهة، بحسب قُوّة المفسدة وضعفها، والفساد المحرّم هو أخطرها؛ لكونه يخرم مقاصد وكليات الدِّين الخمس .

٣. أهمية ربط الأحكام الشرعية بمقاصدها ومصالحها، وذلك بتوضيح ما يحافظ عليها من جانب الوجود المتعلّق بجانب المصالح، وما يَدرأُ عنها من جانب العدم المتعلّق بجانب المفاسد .

٤. كُليّات الدِّين الخمس : . الدين، والنفس، والعقل، والنسل (العِرض)، والمال .، جاءت كل الشرائع السماوية للحفاظ عليها، ودرء مُفسداتها، والفساد بأنواعه يُعدّ من المفسدات للكليات ، والكليات الخمس شاملة لكل المفسدات ؛ إذ تندرج ضمنها ولا تخرج عنها .

٥. المفاسد كثيرة، منها: ما كانت ظاهرة معروفة لعامة الناس كبناء بعض الناس في الأماكن الخطِرة كمجاري السيول أو المناطق التي تثُور فيها البراكين، وذلك مُفسدٌ للأرواح والأموال، والحفاظ على الأنفس والأموال من كُليّات الدِّين، ومنها: ما كانت خفيّة لا يطّلع عليها إلا المفكرون المتأمّلون لآيات الله تعالى، وأحاديث نبيّه ﷺ، كالمفسدات المعنويّة كترك العمل بالشريعة، والأفكار المضلّلة كاللبراليّة والعلمانيّة، من التي لم تذكر في هذا البحث.

٦. الاطلاع على أنواع الفساد وأربابه ومعرفة أسبابه وعلاجه من الأولويات التي يحتاج إلى معرفتها صُنّاع القرار والمنظمات الخيريّة . الدولية والإقليمية والمحليّة . التي تنشد السلام ، وتحارب الفساد، وتشجع

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٦٠/١، وانظر: مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب ـ مختصر حلية الأولياء ـ لمحمد الواسطي ٢٣٣/٦ ـ٢٣٤.

على الصلاح .

٧. وجود نصوص كثيرة في شريعة الإسلام من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ تُحذّر من الفساد وأربابه، وترشد للابتعاد من أسبابه، وفي ذلك ما يدلُّ على خطر الفساد وضرره على جميع الخلق والعباد.

٨. مقاومة ومحاربة المفسدين فرض ودين من فرائض الإسلام، ويجب اتخاذ الوسائل المشروعة لصد الفساد وأهله، ولا يُزال الفساد بفسادٍ مثله أو أعظم منه .

ثانياً : التوصيات

١. أُوصي الباحثين لربط أحكام الشريعة بمقاصد الدِّين وكليّاته؛ لنعلَمَ أن الشرائع السماويّة جاءت لجلب المصالح للعباد، ودرء المفاسد عنهم.

٢. وأُوصي الباحثين للكتابة عن المفاسد التي حرّمتها الشريعة، وبيان ضررها على المجتمعات وعلى الإنسانية كافة ، فمعرفة المفاسد؛ لاجتنابها، فقد يقع فيها من لا يعرف ضررها وشرها وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة .

٣. أُوصي الجهات المعنيّة للدولة إلى تفعيل دُور المحاسبة والمسائلة عن قضايا الفساد ، دون تفريق بين كبير وصغير، فالفساد لا خصوصية له ، كما يجب اختيار الأَكْفَاء من المصلحين لمعالجة قضايا الفساد . **وكتبه** زين محمد حسين العيدروس . عفا الله عنه .

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٢

التمهيد..... ٣

شمول الفساد لكليات الدين، وأهمية معرفة الكليات الخمس..... ٣

المبحث الأول..... ٦

تعريف الفساد لغة واصطلاحاً..... ٦

المبحث الثاني..... ١٣

أنواع الفساد حسب كليّات الدِّين الخمس..... ١٣

النوع الأول الفساد المتعلّق بكليّة الدِّين..... ١٣

النوع الثاني: الفساد المتعلق بالنفس..... ١٩

النوع الثالث : الفساد المتعلق بالعقل..... ٢٣

النوع الرابع : الفساد المتعلق بالنسل(العِرض)..... ٢٥

النوع الخامس: الفساد المتعلق بالمال..... ٢٩

المبحث الثالث..... ٣٤

أولاً: أسباب الفساد..... ٣٤

ثانياً علاج الفساد..... ٣٦

نماذج من التاريخ يبرهن على أهمية مراقبة الله تعالى..... ٣٧

الخاتمة..... ٤٣

وفيها أهم النتائج والتوصيات:..... ٤٣

فهرس الموضوعات..... ٤٥